الخليفة هارون الرشيد وموقفة من البرامكة

د. أركان طه عبد
جامعة تكريت / كلية الآداب

المقدمة

إختلف المؤرخين في الأسباب التي دفعت الخليفة هارون الرشيد(*) إلى القضاء على البرامكة، مع انه شب في حجر يحيى بن خالد البرمكي حتى كان يدعوه يا أبتِ. على الرغم من إن الرشيد لم يكن أول خليفة أو ملك غضب على وزير من وزرائه وعاقبه، ولكن مكانة البرامكة في الناس بفضل تلك الدعاية التي صنعوها لأنفسهم، وما عرف من صلتهم الوثيقة بالرشيد وتلك الحظوة عنده، وعدم إعلانه سبب نكبتهم.

مما جعل المؤرخين في عهده، يتسألون عن الدوافع التي أدت بالخليفة الرشيد في القضاء عليهم.

وهكذا كان الأمر في حادثة نكبة البرامكة، إذ كثرت فيها الأقاويل وراجت الإشاعات المختلفة، مما جعل بعض المؤرخين- فيما بعد- يخبطون فيها خبط عشوائي، ويقتبسون من تلك الإشاعات – عمداً أو عن حسن نية – ما يروق أهواءهم وان كانت من صنع العامة وهذا ما دفعني لاختيار موضوع(الخليفة الرشيد وموقفه من البرامكة) عنواناً لبحثي لتسليط الضوء على الأسباب التي دفعت بالخليفة الرشيد في نكبتهم وتحليل ونقد بعض الروايات التاريخية التي أشارت إلى تلك الحادثة وربطها مع الأحداث التاريخية المعاصرة لها، لذلك تم تقسيم البحث إلى مبحثين وخاتمة. في حين تضمن المبحث الأول نفوذ البرامكة في العصر العباسي الأول، إما المبحث الثاني فقد تناول سياسة الخليفة هارون الرشيد في القضاء على البرامكة مشيراً إلى الأسباب والدوافع التي دفعت بالخليفة هارون الرشيد في نكبتهم.

لا ادعي أن هذا البحث وصل حد الكمال لأن الكمال لله وحده ، أرجو من الله تعالى أن أكون قد وفقت في بحثي هذا انه نعم المولى ونعم النصير.

المبحث الأول

نفوذ البرامكة في العصر العباسي الأول

١- أصل البرامكة

البرامكة(جمع برمك) وهي عائلة فارسية شهيرة، نال كثير من رجالها المناصب العالية في الإدارة والوزارة في العصر العباسي الأول. وقد سميت بهذا الاسم نسبةٍ إلى جدها الأعلى برمك، وبرمك صفة دينية كانت تطلق على من يقوم بسدنة بيت النوبهار(**).

وكلمة النوبهار مكونة من مقطعين هما (نوبا) وتعني ((الجديد)) و ((بهارا)) وتعني ((الدير))، فتصبح النوبهار تعني (الدير الجديد)(١).

وكان البرامكة ينتسبون إلى السلالة الحاكمة الساسانية في فارس، وكان لهذا المعبد أوقاف كثيرة قد ظلت بيد يحيى بن خالد بن برمك يستلم وارداتها الكثيرة، وان خالد بن برمك من ولد من كان على هذا البيت(٢).

٢- أشهر شخصياتهم في العصر العباسي الأول:-

١- خالد بن برمك:- وهو أول من وزر من البرامك لأبي العباس السفاح(١٣٢- ١٣٦هـ)/ (٧٤٩- ٧٥٣م) بإقراره على ما كان يتقلد من الغنائم ثم جعل إليه بعد ذلك ديوان الخراج وديوان الجند(٣).

وتقلد في عهد الخليفة المنصور(١٣٦-١٥٨هـ)/ (٧٥٣- ٧٧٤م) عدة مسؤوليات فعندما بويع المنصور بالخلافة أقره على ما كان يقوم به من إعمال الوزارة، ولكنه لم يستمر طويلاً إذ عزله سنة(١٣٨هـ / ٨٥٥م) واسند إليه ديوان الخراج فقط (٤).

ثم أوكل إليه الخليفة المنصور ولاية فارس(٥) وولاه خراجها (٦). ولكن خالد بن برمك أخذ يتلاعب بأموال الدولة ويتصرف بها على هواه فألزمه الخليفة المنصور بدفع ثلاثة آلاف درهم ونذر دمه فيها وأجله ثلاثة أيام(٧) ثم عفا عنه وولاه الموصل(٨).

واتهم خالد بن برمك بدين المجوس وعندما استوزره المنصور دخل التغلغل الفارسي من أوسع أبوابه في الحكم والإدارة لأول مرة في الإسلام وقد أراد خالد من المنصور إن يكون له مستشاراً لا وزيراً، وقال المنصور لخالد بن برمك(أبيت يا خالد إلا ميلاً للعجمية)(٩) وذلك حين استشاره في هدم ديوان كسرى، فأشار عليه بعد هدمه(١٠).

وكان خالد بن برمك يتجنب إن يسمى وزيراً تطيراً مما جرى على أبي سلمة الخلال(١١).

ولكنه كان يعمل عمل الوزراء(١٢). وكان خالد شديد الحرص على العادات والتقاليد الفارسية ولا سيما عيد رأس السنة (النوروز) إذ كانت تصله مختلف أنواع الهدايا(١٣).

توفي خالد بن برمك سنة١٦٥هـ عن عمر يتجاوز الخامسة والسبعين سنة[١٤].

٢- يحيى بن خالد بن برمك:- لقد أختار الخليفة الرشيد(١٧٠- ١٩٣هـ)/ (٧٨٦- ٨٠٨م) يحيى بن خالد بن برمك كوزير له وفوض أليه جميع أمور ألدولة[١٥].

وكان يحيى مقرباً للرشيد قبل خلافته، وبذلك أصبح يحيى وزيراً للتفويض والتنفيذ وبدوره عين أبناءه(الفضل و جعفر) في المناصب الرفيعة.

وهكذا بدء نفوذ البرامكة يتعاظم شيئاً فشيئاً، حيث استغل هولاء ما عهد الخليفة الرشيد إليهم من مسؤوليات في الإدارة من أجل تحقيق طموحاتهم ومخططاتهم وكان على رأسهم يحيى بن خالد البرمكي[١٦].

وتعاظم نفوذ يحيى بعد إن فوض إليه الخليفة الرشيد أمور البلاد((قد قلدتك أمور الرعية وأخرجته من عنقي إليك فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب واستعمل من رأيت واعزل من رأيت وأمضي الأمور على ما ترى))[١٧].

فأصبح يحيى بذلك مسيطراً على الشؤون الإدارية في عهد الرشيد فأصبحت الدواوين جميعاً إليه ما عدا ديوان الخاتم[١٨].

فكانت الدواوين كلها بيده، وكانت الكتب تصدر من ديوان الخراج باسمه، ولم تكن تصدر من قبل إلا عن الخليفة نفسه واستطاع يحيى بمساعدة ولديه الفضل وجعفر من إدارة الدولة العباسية مدة سبعة عشر عاماً[١٩].

لكنه على الرغم من الخطوة الكبيرة التي بلغها يحيى البرمكي لدى الخليفة الرشيد، إلا انه كان يتبع طرق ووسائل غير شرعية لتحقيق غاياته، وخير دليل على ذلك ما قام به من تقديم مساعدة مالية قدرها مائتي ألف دينار إلى يحيى بن عبد الله العلوي لتشجيعه القيام بحركته في بلاد الديلم ضد الخلافة العباسية وكان ذلك في سنة(١٧٦هـ/ ٧٩٢م) ثم القضاء على تلك الحركة بواسطة ابنه الفضل ليلقى الخطوة عند الخليفة الرشيد[٢٠].

بالإضافة إلى ذلك فأن يحيى قام بتولية أخاه محمد بن خالد حجابة الرشيد، ولما لهذا الأمر من أهمية بالغة وإبعاد عميقة حيث قصد من ذلك لمنع وصول إحداث المعارضين إلى الخليفة الرشيد وتغير رأيه فيهم[٢١].

٣- الفضل بن يحيى البرمكي:- ولد الفضل سنة ١٤٨هـ ، واحتل مكانة مهمة في وزارة أبيه، وكان ينوب عنه ويميل إليه أكثر من أخيه جعفر في هذا المجال [٢٢].

كان الفضل قريب الشبه بأبيه عقلاً واتزاناً، وسخاء يد للشعراء وكسباً للحمد والثناء بالثمن الغالي والعطاء الجزيل[٢٣].

استوزره الخليفة الرشيد وأعطاه الخاتم الذي في يد أبيه، وأطلق يده في شؤون الدولة واحتفظ ليحيى بحق الاستشارة في كل شيء، والأشراف على تصرفات أبنه، فأصبحت مكانته فوق منصب الوزارة ودون منزلة الخلافة شأن((الملك غير المتوج))[٢٤]. وفي عام(١٧٨هـ/ ٧٩٥م) قلد الرشيد ألفضل إمارة المشرق بأسره من النهروان إلى بلاد الترك [٢٥] فشخص هذا إلى عمله، وجعل مقره في خراسان فأصلح وعمر [٢٦].

ولقد وصفه اليعقوبي بالمُصلح الذي قام بالتساهل في عملية فرض الضرائب وجبايتها[٢٧].

ويشير البيهقي أن الفضل قام بحرق دفاتر البقايا التي على الناس وكان مبلغ ذلك عشرون ألف ألف درهم[٢٨] وان هذه السياسة تضر مصالح الدولة الإدارية والمالية وإنها ضد السياسة الإدارية المركزية.

ومما تجدر الإشارة إليه إن الفضل قد أتخذ في خراسان جنداً من العجم سماهم العباسية، وجعل ولأهم للبرامكة وان عدتهم بلغت (٥٠٠،٠٠٠ ألف رجل) وانه قدم منهم ببغداد عشرون ألف رجل سموا بالكرنبية، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم[٢٩].

ويرى الباحث أن هذا العدد كبير ومبالغ فيه، لا سيما وان الفترة الزمنية التي تولى فيها الفضل خراسان لم تكن لتسمح ببناء جيش بتلك الضخامة، بغض النظر عن عدد الجيش فأنه أمر غير طبيعي يقوم به الفضل بن يحيى وان تشكيله لهذا الجيش لم يكن يصب في مصلحة الدولة وحمايتها بقدر ما كان قوة فارسية معادية وضاربه بوجه الخلافة العباسية متى ما سنحت الفرصة.

٤- جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي:- وزير الخليفة الرشيد وكان محله عند الرشيد عالياً ومكانته سامية. وأصبح لا يقدم عليه احد [٣٠] لقبه الخليفة الرشيد بالسلطان[٣١] وأوكل إليه البريد ودور الضرب والطراز[٣٢].

تعد هذه الوظيفة من الخطط العالية التي لا يتولاها إلا الخليفة نفسه ولا يتولاها إلا ذو المقدرة والكفاءة[٣٣].

كما أشار المقريزي إلى ذلك بقوله((إن الخليفة الرشيد يعتبر أول خليفة ترفع عنه مباشرة العيار بنفسه وكان الخلفاء من قبله يتولون النظر بأنفسهم وكان هذا مما نوه باسم جعفر بن يحيى ، إذ هو شيء لم يتشرف به احد قبله))[٣٤].

ولم يتوقف الأمر على الإشراف، بل تعدى ذلك إلى سك اسم جعفر على الدنانير إلى جانب اسم الخليفة الرشيد[٣٥].

لقد كان إشراف جعفر على دور الضرب سبباً في زيادة إثراء البرامكة، إذ استغل إدارته في هذا المنصب المهم من مرافق الدولة وأخذ بضرب دنانير خاصة حيث وجدت بركة في داره فيها أربعة ألاف دينار وزن كل دينار مئة دينار[٣٦]، ويرى الباحث بأن هذا الوزن غريب أو غير موجود.

وأمر جعفر إن تضرب دنانير في كل دينار ثلاثمائة مثقال ويصور عليها صورة وجهه فضربت فعلاً[٣٧]

المبحث الثاني

أسـباب نكبـة البرامكـة

لقد لعب البرامكة دوراً واضحاً في دعم الرشيد ووصوله إلى الحكم ولما بويع الرشيد بالخلافة، حفظ ليحيى فضله، فقلده وزارته ومنحه صلاحيات واسعة جداً، وقال له((قد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقي إليك، فأحكم في ذلك بما ترى من الصواب، وأستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وأمضى في الأمور على ما ترى))[٣٨].

فكانت الدواوين كلها بيده، وكانت الكتب تصدر من ديوان الخراج باسمه، ولم تكن تصدر من قبل إلا عن الخليفة نفسه، واستطاع يحيى بمساعدة ولديه الفضل وجعفر من إدارة الدولة العباسية مدة سبعة عشر عاماً[٣٩].

فأصبح يحيى البرمكي وأولاده يتصرفوا في الأمور وحدهم، الأمر الذي جعل الخليفة الرشيد يشعر أكثر من أي وقت بثقل نفوذهم وتماديهم ، وقد أشار الفخري إلى ذلك بقوله((وقيل أن جعفراً والفضل ظهر فهما من الادلال ما لا تتحمله نفوس الملوك فنكبهم لذلك))[٤٠].

لكن الخليفة الرشيد قد تخلص منهم عام ١٨٧هـ بعد أن دبر مكيدة لهم سراً وقد حار المؤرخون في سبب سقوطهم فاختلطت الروايات الموضوعة بالروايات الصحيحة وحبكت القصص والأساطير وتداخلت بالوقائع الحقيقية حتى بات من الصعب التفريق بينهما، وقد أنقسم المؤرخون إلى قسمين في أسباب نكبة البرامكة:-

فالمؤرخون الذين اعتدل ميزان فحصهم للنصوص قالوا:- إن هناك سبباً وحداً لنكبة البرامكة هو إساءة استعمال السلطة التي سلم بعضها إليهم والذي ينطوي تحته – تبذيرهم وإنفاقهم – وتوخيهم الفارسية ما ظهر من شعوبيتهم على حساب السلطة المتزنة.

- أما ما أورده بعض المؤرخين من تشويه لصورة الخليفة هارون الرشيد في نكبة البرامكة فأن مرده انحياز المؤرخ الفارسي لبني جلدته أو لأغراض سياسية أو مادية فيطلق الروايات التي تشوه صورة الرشيد، وتجعل البرامكة مظلومين وإنهم أصحاب دولة ولم يكونوا عمالاً للرشيد،

لقد كاد الفرس للإسلام فروجوا ما يسيء إلى شرف أخته العباسة، ليجدوا مبرراً ينفذ إلى أخلاق أسرة الرشيد بأكملها[٤١].

نخرج من العموم لنتصفح الروايات كما جاءت في أمهات المراجع التاريخية عن أسباب نكبة الرشيد على البرامكة.

١- قصة العباسة بنت الخليفة المهدي:-

من أطرف ما ذكر من الأسباب التي لا تقف أمام المنطق السليم، قصة العباسة، وقد ذكرها الطبري في تاريخه، ملخصها:- إن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته العباسة بنت المهدي وكان يحضرها إذا جلس للشرب... فأراد إن يحضرهما معاً في مجلسه ذاك ولكن الشرع الإسلامي يحول دون جمعهما، لأن جعفراً غريب عنها ومحرم عليها، فأحتال الرشيد للأمر، بأن يزوجه منها لتحل له رؤيتها ومجالستها فقال لجعفر:- أزوجكما على إن لا يكون منك شيء مما يكون للرجل إلى زوجته، فقبل جعفر، وعقد قرانهما، ولكن جعفراً واقعها – فيما بعد – كزوجة له، فحملت منه طفلاً، فخافت عليه من أخيها، فأبعدته إلى مكة، وعلم الرشيد بالأمر، فقتل الطفل، وأنقض على البرامكة لهذا السبب[٤٢].

وهذا الأمر نحن نستبعده كل البعد، مع ما نعرفه من نسب العباسة وحسبها ودينها، فهي بنت الخليفة المهدي بن المنصور، وهي كما يقول ابن خلدون((قريبة عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين، البعيدة عن عوائد الترف ومواقع الفواحش، فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها؟ أو أين توجد الطهارة والذكاء إذا فقدوا من بيتها، أو كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولى من موالي العجم؟ .....وكيف يسوغ الرشيد إن يصهر إلى موالي الاعاجم على بعد همته وعظم إبائه؟ ولو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، وقاس العباسة بابنة ملك من ملوك زمانه لأستنكف لها عن مثله مع مولى من موالي دولتها، وفي سلطان قومها، وأستنكره ولج في تكذيبه، وأين قدر العباسة والرشيد من الناس))[٤٣].

وأكد ابن كثير[٤٤] وغيره، إن العديد من المؤرخين أنكروا هذه الأسطورة التي وضعتها الأقلام الفارسية الحاقدة خاصة وان في متنها يغلب عليه الطابع الأسطوري المختلق.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إن العباسة كانت متزوجة من محمد بن سليمان وتوفي عنها ثم تزوجت ثانية و ثالثة فلم تبق من دون زوج، حتى إن الشاعر أبو نؤاس اخذ يتندر في شعره بأمرها ويقول إذا أراد رجل الموت فما عليه إلا الزوج من العباسة،[٤٥] وكانت القيم والتقاليد قوية وفعالة في عهد الرشيد.

نحن لا ننكر صحة القول المأثور(ما اجتمع رجل وامرأة في خلوة إلا كان الشيطان ثالثهما)[٤٦] ولا نريد الدفاع عن العباسة لمجرد كونها أخت الخليفة الرشيد، وامرأة من أكرم الأسر العربية الإسلامية، قريبة الصلة بالرسول الكريم محمد(صلى الله عليه وسلم).

ولكن ما يهمنا هو توخي الحقيقة في أساس هذه القصة، لما لها من صلة بتاريخ الخليفة الرشيد، ومساس بشخصيته من جانبي أخلاقه ومجتمعه، وقد اعتمدنا المصادر التي تدل بوضوح على أنها قصة موضوعة ليس لها صلة بالواقع.

إذ يقول الجهشياري وهو احد معاصري الطبري الذي روى القصة وكلاهما قريب من عهد الخليفة الرشيد:((قال عبيد الله بن يحيى بن خاقان: أتيت مسروراً الكبير في أيام المتوكل، وكان قد عمر إليها ومات فيها، عن سبب قتل الرشيد لجعفر وإيقاعه بالبرامكة، فقال: كأنك ما تقوله العامة فيها ادعوه من أمر المرأة؟ فقلت له: ما أردت غيره، فقال: لا والله ما لشيء من هذا أصل، ولكنه من ملل مواليا وحسدهم))[٤٧].

فمتى ما علمنا بأن((مسروراً الكبير)) هو الذي قتل جعفر بن يحيى بيده بأمر من الرشيد، وان السائل له((ابن خاقان)) وهو الذي نقل هذه الشهادة إلى الجهشياري بنفسه، قدرنا أذن قيمة هذه الشهادة من الناحية التاريخية، وأيقنا بأن قصة العباسة قد صنعها العامة من أهل بغداد حين خفت عليهم الأسباب التي دفعت بالخليفة العباسي هارون الرشيد في القضاء على البرامكة، ومتى ما عرفنا بأن للبرامكة في بغداد يومئذ- دعاة وأبواق لا تكف عن التمجيد بهم والطعن بخصومهم إمام العامة في أيام حكمهم، عرفنا بأن عدداً كبيراً منهم حزن عليهم يوم نكبتهم وحنق على الرشيد للإيقاع بهم.

بالإضافة إلى ذلك إن الطبري قد روى هذه القصة بغير سند خلاف عادته في الروايات التاريخية الأخرى، مما يدل على انه أقتبسها من أفواه العامة في عصره.

ولم يكن ميلنا إلى تصديق رواية الجهشياري لمجرد كونها ذات سند واضح، بل لأسباب أخرى تتفق مع المنطق والعقل السليم أهمها. أن الخليفة الرشيد وقد درسنا أخلاقه وصفاته لم يكن مبتذلاً في مجالسه ماجناً بحيث لا يصبر عن جمع أخته مع رجل محرم عليها، وقد رأينا تمسكه الشديد بقوميته العربية، فكيف يزوج أخته برجل فارسي ، في حين كان العرب يأنفون من فعل ذلك.

هذا من جهة الرشيد، أما من جهة العباسة فأنها كانت متزوجة محصنة، ولكنها منكوبة منحوسة الحظ في زواجها وحياتها الخاصة فقد تزوجت في عهد أبيها بالأمير محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة ، فمات عنها[٤٨].

ثم تزوجت ثانية بوالي مصر إبراهيم بن صالح الهاشمي فمات هو الأخر ايضاً[٤٩].

وقيل أنها تزوجت بأمير ثالث ورابع، فماتوا كلهم عنها، فشاع بشؤمها بين الناس، ونظموا في ذلك الأشعار[٥٠].

فكيف تستطيع أذن هذه المنكوبة التي ما خرجت من ترمل وحزن إلا لتدخل في ترمل وحزن أخر إن تحضر مجالس الإنس والطرب مع الرشيد وجعفر إن قصة العباسة هذه صنعها بعض الحاقدون، ولا يبعد من الواقع المحتمل إن يكون مصدرها من احد أبواق البرامكة الشعوبيين أراد إن يطعن بها الرشيد في كرامته.

٢- قصة يحيى بن عبد الله العلوي:-

ومن المؤرخين من يزعم سبب النكبة، هو أطلاق جعفر بن يحيى البرمكي سراح((يحيى بن عبد الله العلوي)) الذي خرج على الرشيد في بلاد الديلم، وملخص الخبر:

إن الرشيد أمر بسجن يحيى بن عبد الله العلوي عن جعفر في بيته، وأوصاه بالمحافظة عليه ريثما ينظر في أمره، فأشفق جعفر على يحيى، وحادثه طويلاً، فقال له يحيى((أتق الله في أمري، ولا تتعرض إن يكون خصمك غداً محمد(صلى الله علية وسلم) فرق له قلب جعفر، وقال له:"أذهب حيث شئت من بلاد الله" فقال يحيى ((وكيف أذهب ولا أمن أن أوخذ بعد ليل، فأرد إليك أو إلى غيرك)) فوجه معه من أداه إلى مأمنه[٥١].

وعلم الرشيد بالأمر من الفضل بن ربيع، فلم يظهر الخليفة امتعاضه حتى دخل عليه جعفر، فأستقبله الرشيد بالبشر والترحاب، ودعا بالغداء فأكلا معاً. وجعل يلقمه ويحادثه، حتى إن كان أخر ما دار بينهما أن قال((ما فعل يحيى بن عبد الله)) فقال جعفر: بحاله يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال، فقال الرشيد((بحياتي)) فأحجم جعفر وأدرك إن في الأمر شيئاً، وهجس في نفسه إن الخليفة قد علم بشيء من أمره فقال: لا وحياتك يا أمير المؤمنين، ولكن أطلقته وعلمت أنه لا مكروه عنده، قال: نعم ما فعلت، وما عدوت ما كان في نفسي... فلما خرج جعفر أتبعه الرشيد بصره حتى كاد يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلني الله بسيف الهدى على عمل ألضلاله إن لم أقتلك))[٥٢].

لذلك لا نعجب إذا أساءت العلاقة بين البرامكة والرشيد، وساعد على إشعال هذه النيران سعاية الفضل بن الربيع وزير الرشيد وغيره، أضف إلى ذلك ما اتصل بعلم الرشيد من إن عبد الملك بن صالح العباسي كان يدعوا إلى نفسه، وان البرامكة كانوا يساعدونه فغضب الرشيد عليهم وحبس عبد الملك معهم، ولم يكن جعفر البرمكي وحده الذي أتهم بالتقرب إلى العلويين بل شاركوه في ذلك أخوه موسى بن يحيى البرمكي فقد رماه أعداءه بأنه ينشر الدعوة إلى العلويين ويعمل على تحويل الخلافة إليهم بين أهالي خراسان، وهذه الروايات ليس لها ما يبررها كما أن البرامكة يظهرون في روايات أخرى وكأنهم أعداء للعلويين[٥٣].

إننا لا نرجح بأن البرامكة كانوا موالين سياسياً للقضية العلوية، وربما أظهروا في مناسبة أو أكثر تعاطفهم مع بعض العلويين أو سمحوا في مجالسهم بمناقشة الأفكار والاراء العلوية كما كانت تناقش أراء أخرى، ولم نعثر على روايات موثوقة تدل على أخلاصهم للقضية العلوية أو ولائهم لشخصية سياسية علوية.

٣- ومن المؤرخين من يرميهم((البرامكة)) بالزندقة، والميل إلى المذهب المجوس، فقال البغدادي في كلامه على الباطنية((ولم يمكنهم((الباطنية)) أظهار عبادة النيران، فاحتلوا بأن قالوا للمأمون ينبغي أن تجمر المساجد كلها، وان تكون في كل مسجد مجمرة يوضع عليها الند(الطيب)والعود في كل حال[٥٤].

وكان البرامكة قد زينوا للرشيد إن يتخذ في جوف الكعبة مجمرة عليها العود أبدا، فعلم الرشيد أنهم أرادوا من ذلك عبادة النار في الكعبة وان تصير بيت نار، فكان ذلك احد أسباب قبض الرشيد على البرامكة، وذكر ابن النديم((إن البرامكة بأسرها – إلا محمد بن خالد بن برمك- كانت زنادقة))[٥٥].

ويؤكد ألشاطبي((أن أول من اتخذ البخور في المسجد بنو برمك))[٥٦] هذا بالإضافة إلى شعوبيتهم دفعتهم للتأمر على العرب ورجالهم المعروفين بالدين والورع بشتى الوسائل، وقد أشار الاصفهاني إلى إن يحيى البرمكي كان سبباً في سجن موسى الكاظم[٥٧]. حين سعى به إلى الخليفة الرشيد، وذكر له إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وان له بيوت أموال[٥٨].

ويذكر ألقمي إن البرامكة، واصلوا حقدهم على موسى الكاظم فقتلوه في سجنه حين قام يحيى بن خالد البرمكي بسمه في رطب وعنب بعثه إليه فقتله[٥٩].

وفي رواية أخرى أنهم أرسلوا أليه ألسندي بن شاهك الفارسي فقتله في السجن[٦٠].

فأثار عملهم هذا غضب وحنق الرشيد فأضمرها لهم.

٤- ومن المؤرخين وفي مقدمتهم ابن خلدون الذي عزا سبب نكبتهم إلى سوء تصرفاتهم فقال((وإنما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجاجهم أموال الجباية، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه، فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه، فعظمت أثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم، واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة، وقيادة وحجابة وسيف وقلم، فتوجه الإيثار من السلطان إليهم، وعظمت ألدوله منهم، وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب، وقصرت عليهم الآمال، ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم واسنوا لعضائهم الجوائز والصلات، واستولوا على القرى والضياع من الضواحي

والأمصار في سائر الممالك، حتى أسفوا البطانة واحقدوا الخاصة، وأغضبوا أهل الولاية، فكشف لهم وجوه المنافسة والحسد[٦١]

الخاتمة

من خلال تحليل الروايات التاريخية ومقارنة الأسباب والدوافع بعضها ببعض جعلنا نستخلص جملة أمور كان واحد منها كافياً لاتزال اشد العقوبات بالبرامكة وليس جميعها. ومن أهم هذه الأسباب التي نراها وكما يلي:-

١- الشعوبية والزندقة:- وكانت باتجاهين، الأول، اعتناقهم الزندقة، وقد أشار ابن النديم في كتابة الفهرست إن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد- كانت زندقة.

والاتجاه الثاني من خلال احتضان هذه الأسرة للعناصر الشعوبية من أدباء وكتاب وغيرهم وتشجيعهم لطعن بأسباب العرب والنيل من رسالتهم الإنسانية تعصباً لقومهم الفرس.

٢- الأسباب السياسية:- في مقدمة هذه الأسباب هو أطلاق جعفر بن يحيى البرمكي سراح يحيى بن عبد الله العلوي من السجن الذي قاد حركة مسلحة ضد الخلافة والخليفة في بلاد الديلم، وكان هذا القرار الخطير الذي يتعلق بأمن وسلامة الدولة، هو من اختصاص الخليفة، فلا يجوز لأحد غيره اتخاذه أو البت فيه، دون موافقته ولهذا اعتبر الخليفة الرشيد تصرف جعفر بن يحيى البرمكي هذا تجاوزاً له وخرقاً فاضحاً لاختصاصاته وعدم الاكتراث به، وهذا ما دفع بالرشيد نفسه قوله قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك .

٣- الأسباب العسكرية:- كون البرامكة قوة عسكرية خاصة بهم تدين لهم بالولاء وتكون تحت تصرفهم، ومما يؤكد هذا الاتجاه ما أشار إليه الطبري بقوله((إن الفضل بن يحيى قام بتأسيس جيش كبير عندما كان والياً على خراسان بلغ خمسمائة ألف مقاتل، سماهم العباسة وكان كلهم من العجم الموالين له، وجلب منهم عشرين ألفاً عندما عاد إلى بغداد، واستعملهم كحرس خاص سماهم الكربنية. إن هذا العدد الكبير بلا شك كانت له غايات ابعد من مجرد استعمالهم كحرس خاص، ولا سيما إذا علمنا إن الخليفة العباسي الرشيد نفسه لا يملك حرساً خاصاً بمثل هذا العدد.

٤- الأسباب الاقتصادية والمالية:- أستغل البرامكة المناصب والصلاحيات التي منحت لهم، فسيطروا على أموال الدولة، وأنفقوها في وجوه شتى وفقاً لأهوائهم وطموحاتهم لكسب ود الناس وجذبهم إلى صفوفهم نظراً لما للمال من تأثير في النفوس وقد بلغ إسرافهم في تبذير الأموال لإبراز مكانتهم وأبهتهم متجاوزين مكانة الخليفة وهيبته.

٥- أسباب دينية:- من المعروف إن الرشيد كان شديد التمسك بدينه وبعروبته بعكس البرامكة هم أسرة فارسية، كانوا فيما مضى سدنة بيت النار للديانة الفارسية، ويبدوا إن نفوسهم ظلت تتطلع

إلى إعادة مظاهر تلك الديانة بشكل أو بأخر خاصة بعد وصولهم إلى مراكز متقدمه في الدولة، فأشاروا على الخليفة الرشيد باتخاذ المجامر في جوف الكعبة وكذلك هم أول من أتخذ البخور في المسجد، إذ زينوا للرشيد وضع المجامر في الكعبة المشرفة ليأنس المسلمون بوضع النار في أعظم معابدهم، والنار معبود الفرس، إلا انه رفض اقتراحهم واعتبره بدعه فارسية لا تنسجم مع مكانة الكعبة المشرفة.

الهوامـــش

*- الرشيد:- هو هارون بن الخليفة العباسي محمد المهدي بن الخليفة عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله العباس – عم النبي الأعظم – بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ولد سنة ١٥٠هـ بالري، وتولى الخلافة سنة سنة ١٧٠هـ حكم ثلاثون وعشرون سنة وتوفي بطوس من خراسان سنة ثلاث وتسعين ومائة، ولد خمس وأربعون سنة. وللمزيد انظر الخطيب البغدادي، أبو بكر احمد بن علي (ت:٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ج١٤،ص٥، ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر(ت:٧٤٤هـ/ ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، مصر١٩٢٢م/ ج١٠، ص٢١٢، الاربلي، عبد الرحمن سنبط قنيبتوا الاربلي(ت: ٧١٧هـ/ ١٣١٧م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، مطبعة الارثوذكس، القدس، ١١٨٥م، ص٧٧، السمناني، روضة القضاء، ج٤، ١٥٠.

**- النوبهار: وهي بناء للبرامكة في بلخ نصبوا حوله الاصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفسية. وللمزيد انظر ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله(ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) معجم البلدان، طبعة النجف، لا.ت، ج٥، ص٣٠٨.

***- بلخ: مدينة كبيرة تعتبر من أمهات مدن خراسان. وللمزيد انظر اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٥م)كتاب فتوح البلدان ، طبعة النجف، ١٩٥٧م/ ص٥٩.

١- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٠٨.

٢- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين(ت: ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م) مروج الذهب ومعادن الجواهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٧٣، ج٢، ص٣٨. الفياض، عبد الله، تاريخ البرامكة، مطبعة الرشيد، بغداد ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ص٥١.

٣- الجهشياري، أبو عبد الله محمد بن عبدوس(ت: ٣٣١هـ/ ٩٤٢م) الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري عبد الحفيظ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨، ص٨٧.

٤- م.ن، ص٩٩.

٥- م.ن، ص٩٩.

٦- الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ، دار المعارف، القاهرة، لا.ت، ج٧، ص٥١٧.

٧- م.ن، ج٨، ص٥٤.

٨- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، ج٥، ص٥٨٥.

٩- ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت: ٩٠٩هـ/١٣٠٩م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، مطبعة محمد علي، القاهرة، لا.ت، ص١٥٧.

١٠- م.ن ، ص١٥٧.

١١- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٨٧. الدوري، عبد العزيز، النظم الإسلامية، مطبعة نجيب، ط١، بغداد، ١٩٥٠م، ج١، ص٢١٧.

١٢- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٨٧.

١٣- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٥٧.

١٤- م،ن،ص١٥٧.

١٥- ابن بطريق، أمنيشوس المكنى ابن بطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، طبعة بيروت، ١٩٠٩م، ص٥١.

١٦- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر(ت: ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط١، القاهرة، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، ج٣، ص٥.

١٧- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص١٤٦- ١٤٨.

١٨- م.ن، ج٨، ص٢٣٣.

١٩- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٣.

٢٠- سلطان، فاروق فتحي، التاريخ الإسلامي في العصر العباسي(١٣٢- ٣٣٤هـ) طبعة بيروت، ط١، ٢٠٠٦م، ص٨٩.

٢١- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٥٦.

٢٢- م.ن، ص٢٥٦.

٢٣- م.ن، ص١٨٩.

٢٤- الجومرد، عبد الجبار، هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، المكتبة العمومية، ج١، بيروت، ص٤٣٩-٤٣٢.

٢٥- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٨٩.

٢٦- الشبيبي، محمد رضا، بحث في ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي إلى أواخر العصر المغولي، بغداد، ١٩٥٠م، ج١، ص٥٠.

٢٧- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٥٦.

٢٨- اليعقوبي، احمد بن علي يعقوب بن جعفر بن وهب(ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٥م) تاريخ اليعقوبي، مطبعة النجف، بغداد، لا.ت، ج٢، ص٤٣.

٢٩- البيهقي، إبراهيم بن محمد(ت: ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) المحاسن والمساوئ طبعة بيروت، ١٩٦٠، ص١٩٩.

٣٠- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٨، ص٢٥٧.

٣١- الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص١٩٠، فوزي، فاروق عمر، سقوط البرامكة، مطبعة الرشيد، ط١،ص٨١.

٣٢- القلقشندي، أبو العباس احمد بن علي(ت:٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشا، المطبعة الاميرية، القاهرة ١٣٣٦هـ، ١٩١٨، ج٩، ص٤٠٣.

٣٣- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٠٤. الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصر العباسي الأول، مكتبة التراث، الموصل، ص١٦٢.

٣٤- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/١٤٥٠م) المقدمة، الدار التونسية للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٤٨، ص٢٣٥.

٣٥- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي(ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق محمد السيد، طبعة النجف، ١٩٦٧، ص١٩.

٣٦- م.ن، ص١٨.

٣٧- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٤٩.

٣٨- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٧، ص١٨٦.

٣٩- المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي(ت: ٣٣٢هـ/ ٩٣٣م) البدء والتاريخ منسوب إلى أبي زيد احمد بن سهل البلخي، دار المعارف، لا.ت، ج٦،ص٦٠٤.

٤٠- سلطان، فاروق، التاريخ الإسلامي، ص٨٩.

٤١- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص١٧٢.

٤٢- الجنابي، عجمي محمود خطاب، هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده(١٧٠هـ - ١٩٣هـ)، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط١، ص٦٨.

٤٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣،ص٥٤٧.

٤٤- ابن خلدون، المقدمة، ص١٤.

٤٥- ابن كثير، أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير(ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية، ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م، ج١٠، ص٢١٩-٢٢٠.

٤٦- م.ن، ج١٠، ص٢١٩.

٤٧- النسائي، احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي(ت:٣٠٣هـ)، سنن النسائي الكبرى، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ج٥، ص٣٨٧.

٤٨- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٠٤.

٤٩- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م) المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، القاهرة،١٩٦٠، ص١٣٠.

٥٠- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الاتابكي(ت: ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في إخبار ملوك مصر والقاهرة، ط١، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، ج٢، ص٨٤.

٥١- م.ن، ج٢، ص٨٤.

٥٢- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص١٨٩-١٩٠.

٥٣- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٨٠-٨١.

٥٤- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص٢٢٧.

**** المجامر: جمع مجمرة، وهو ما يوضع فيه الجمر. المنجمد.

٥٥- البغدادي، عبد القاهر بن طاهر(ت: ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م) الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت،لا.ت، ص١٧٢.

٥٦- ابن النديم، محمد بن اسحق(ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م) الفهرست، مكتبة خياط، بيروت،لا.ت، ص٤٧٣.

٥٧- هو موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا الحسن، كان صالحاً عابداً، توفي سنة ١٨٣هـ وعمره ٥٣سنة. وللمزيد ينظر الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن احمد(ت: ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م) مقاتل الطالبين، شرح وتعليق السيد احمد الصقر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، ص٤٩٩. ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين(ت: ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السر، عنى بنشرة مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ط١، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، ص٢٩.

٥٨- القمي، سعد بن عبد الله بن خلف الأشعري، د.ت، كتاب المقالات والفرق، تصحيح وتقديم محمد جواد، طهران ١٩٦٣، ص٨٩.

٥٩- النوبختي، أبو محمد الحسن بن موسى(ت: ٢٠٢هـ/٨١٧م) فرق الشيعة، طبعة اسطنبول، ١٩٣١م، ص٧٩.

٦٠- الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٥٠٤

٦١- ابن خلدون، المقدمة، ص١٥.

المراجع

١- الباشا، حسن.

- الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٧م.

٢- الجنابي، عجمي محمود.

- هارون الرشيد ومؤسسات الخلافة في عهده(١٧٠-١٩٣هـ) مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،ط،لا.ت.

٣- الجومرد، عبد الجبار.

- هارون الرشيد دراسة تاريخية اجتماعية سياسية، المكتبة العمومية، ج١، بيروت.

٤- الدوري، عبد العزيز

- دراسات في العصر العباسي الأول، مكتبة التراث، الموصل ١٩٦٠م.

٥- سلطان، فاروق علي.

- التاريخ الإسلامي في العصر العباسي(١٣٢-٣٣٤هـ) طبعة بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٦- الشبيبي، محمد رضا.

- ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي إلى أواخر المغولي، بغداد، ١٩٥٠م.

٧- فوزي، فاروق عمر.

- سقوط البرامكة، مطبعة الرشيد، ط١، لا،ت.

٨- الكرملي، انستاس ماري.

- النقود العربية وعلم النميات، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٣٩م.

٩- المنجد.